

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[303] البقرة نرى إدعاءً آخر لهم: (وَقَالُوا لَنُيَدِّدْهُنَّ لَكُنَّ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى)، وهكذا في الآية 80 من سورة البقرة: (وَقَالُوا لَنُتِمَّسَّنَّ أَسْمَارُ الْإِنسَانِ أَكْثَمًا مِّمَّكَ دُودَةً). هذه التصورات الموهومة كانت تدفعهم من جهة إلى الظلم والجريمة والطغيان، وتبعث فيهم - من جهة أخرى - الغرور والتكبر والإستعلاء. والقرآن الكريم يجيب هؤلاء القوم جواباً دامغاً إذ يقول: (قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ الدَّارِ فَأَتِمَّمُوا أَلْمُوتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ). ألا تحبّون رحمة الله وجواره ونيل النعيم الخالد في الجنان؟ ألا يحب الحبيب لقاء حبيبه؟! لقد كان اليهود يهدفون من كلامهم هذا وأن الجنة خالصة لنا دون سائر الناس؛ أو أن النار لا تمسّنا إلا أيساماً معدودات - إلى توهين إيمان المسلمين وتخدير عقائدهم. لماذا تفرون من الموت، وكل ما في الآخرة من نعيم هو لكم كما تدعون؟! لماذا هذا الإلتصاق بالأرض وبالمصالح الذاتية الفردية، إن كنتم مؤمنين بالآخرة وبنعيمها حقاً؟! بهذا الشكل فضح القرآن أوكذوبة هؤلاء وببّين زيف ادعائهم. في الآية التالية تأكيد على ما سبق بشأن ابتعاد القوم عن الموت: (وَلَن يَتِمَّمَنَّوهُ أَبَدًا بِرَمَا قَدِّمَتْ أَيْدِيهِمْ، وَإِنَّهُمْ بِلَاظْمِ الْيَمِينِ). هؤلاء يعلمون ما في ملف أعمالهم من وثاق سوداء ومن صحائف إدانة، وإنّ عليهم بكل ذلك، ولذلك فهم لا يتمنون الموت، لأنه بداية حياة يحاسبون فيها على كل أعمالهم. الآية الأخيرة تذكر انشداد هؤلاء بالأرض وحرصهم الشديد على المال والمتاع: (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْزَرَ السَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ) وتذكر الآية أن حرصهم هذا يفوق حرص الذين أشركوا: (وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا).